دراسة في مفهوم الزمن

د.ناصر بلبوخاري و ا.محمد طه خلادي

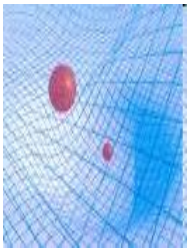

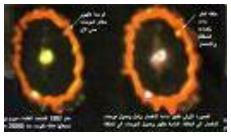

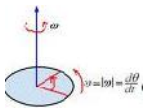

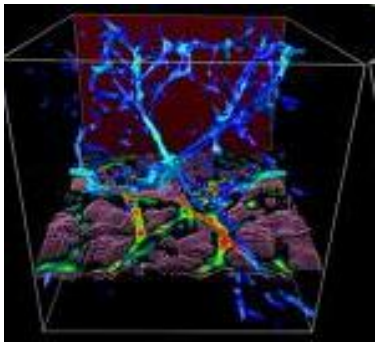

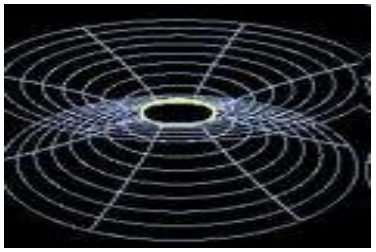

مدخل عام

الزمن : هناك تعاريف كثيرة و أمثال و حكم قديمة تعلقت بمفهوم الزمن منذ غابر الزمن لعظم أهمية هذا المفهوم المرتبط بخلق الكون و بحاجة الكائنات بصفة عامة للتعامل مع هذا السر العميق الذي أودعه الله في جميع العوالم، التي نعرفها و نقر بوجودها أو تلك التي لا نعرفها أو نجهلها. و أهم شيء تجدر الإشارة إليه هنا هو ورود هذا المعنى في كتاب الله الكريم و في السنة النبوية المطهرة، و يكفي أن رب العزة قد أقسم به في كثير من آي القرءان العظيم: "و الليل إذا يغشى..." ، "و الفجر ..." ، "و الضحى..." ، "و العصر..."...

الفلسفة و الزمن :إن ارتباط عنصر الزمان بالحالات المتغيرة و المتعاقبة باستمرار هو ما يعطي للعقل الإنساني وظيفته العليا بحيث تتسع دائرة تصوره من الحاضر إلى الماضي و إلى المستقبل بيد أن البدائي و الكائن غير العاقل كلاهما مشدود إلى حاجاته اليومية و الضرورية تنبه إليها ساعاته البيولوجية، ثم إننا لندرك الزمان على أنه كيان موجد على غرار المدركات الحسية ولكن يدرك الزمان استنادا إلى شعورنا الحاضر بتعاقب الأحداث.

الفيزياء و الزمن: السرعة = دس/دز ، السرعة = دز/دس

إن كلا العبارتين أعلاه تؤديان نفس المعنى، فعندما نقول بأننا قطعنا مسافة س خلال زمن ز هو نفسه كقولنا أننا استغرقنا زمنا ز لقطع نفس المسافة س، فلماذا غلب على نظريات تعريف السرعة كمفهوم فيزيائي فكرة الانطلاق من المفهوم أ و المصطلح الشائع " دس/دز " ؟... و من البديهي أن الإنسان قد تعامل مع المسافة قبل التعامل مع الوقت في كل حال من الأحوال فماذا كان سيحدث أو ماذا سيحدث لو بنيت أو أعيد بناء هذه النظريات على المفهوم الآخر "دز/دس" ؟

الرياضيات و الزمن: إن علاقة مفهوم الزمن مع تطور علم الرياضيات أمر حتمي و مقبول لكن ماذا لو أعيدت صياغة حتى تلك النظريات الرياضية في الاشتقاق و التكامل و غيرها كما فعل شرودينقر حينما اقترح تلك الحلول التقريبية لمعادلاته التفاضلية و التي كانت مطابقة تماما للواقع و المعقول.

المنطق و الزمن: يبدو أن هناك منطق آخر غير المنطق الذي ألفناه ، يكمن وراء مفهوم الزمن، و هو أن الزمن أو بالأحرى وحدة الزمن الاصطلاحية هي متغيرة أيضا خلال تغير الموضع.

ظاهرة تمدد الزمن و تقلصه

لعل كل واحد منا لم تفته ظاهرة التمدد و التقلص للزمن، فكثيرا ما تتجلى في ممارساتنا الحياتية و في مجالات شتى كمجالات الفكر و العمل و التعلم. فأنت تشعر مثلا و أنت تقف منتظرا موعدا هاما أو موقفا مصيريا حاسما بأن الثواني و الدقائق قد تحولت إلى ساعات طوال.. وبالمقابل فأنت عندما تكون في سهرة فنية شيقة أو خلال مشاهدتك لمباراة رياضية رائعة أو في مجلس علمي أروع فإنك لا تشعر بمرور الزمن إطلاقا أو بالأحرى فإنك ستشعر وكأن الوقت قد مر كلمح البصر، ثم إن ركاب المركبة الفضائية يهبطون إلى الأرض فيجدون أن ساعاتهم قد تأخرت تأخرا كبيرا يعد بالساعات، ألا يعني هذا أن للزمن معالم مختلفة هو الآخر أو بمعنى أدق ما هي المرجعية العلمية و المنطقية التي اختيرت بها وحدة الزمن المعروفة في معلمنا الأرضي الثانية ؟...

بعض القصص المروية عن عالم الجن

لعل كل قارئ منا على الأقل يحفظ جيدا قصة حقيقية واحدة من قصص عالم الجن أو الأرواح الخفية و رغم أننا لا نصدق كثيرا هذه الأخبار و الحادثات و تكتفي برصها في رفوف كتب الأساطير و الخرافات...لكن كثيرا ما سمعنا قصة ذاك الشخص الذي خطفه الجن و هو في ريعان شبابه و قد حكم عليه كبير الجن بالسجن لخمس سنوات و لما أعيد إلى عالمنا هذا، اكتشف أنه لم يمكث في زنزانتهم إلا ثلاثة أيام ...وقصة آخر يروي رحلته العجيبة مع الزمن بعد ما شوفي من مس أصابه فيقول : كنت أسأل دائما عن الوقت و عند زوال مسه هذا وجد أن الوقت لم يستغرق إلا بضعة أيام بينما كان يظن أنه قضى شهورا و سنين في رحلته تلك...

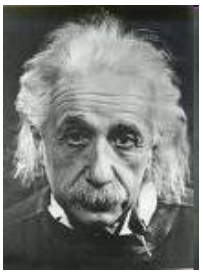

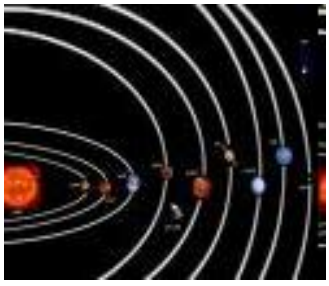

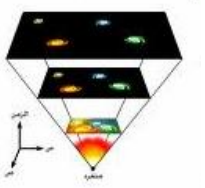

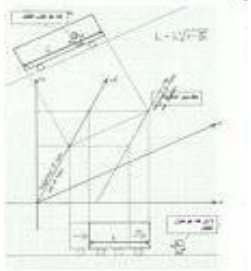

شواهد من القرءان الكريم

لعل في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الجن خير دليل على تفسير هذه المفارقة الزمنية العجيبة إذ قال الله تعالى "قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ" يقول المفسرون بأن غرض سليمان عليه السلام هو أن تجاء إليه المملكة (العرش) في أقل من نصف نهار، فقال له الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك أي آتيك به بلمح البصر فدعا الله فحضر العرش حالا. إذن ألا ترى أن القارئ في كل هذا اختصارا لهذا الزمن السرمدي الذي حير العقول و الأفكار.

ثم إن في قصة الإسراء التي خص الله تعالى بها نبيه الكريم مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم لخير شاهد و أقطع دليل على ازدواجية هذا الزمن، قال تعالى " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا انه هُوَ السمِيعُ الْبَصِيرُ«

هذا الإسراء و الانتقال الكلي الذي انتقله سيدنا مُحَمَّد عليه الصلاة و السلام من مكة المكرمة إلى بيت المقدس...حيث سمي بالأقصى لبعد المسافة بينه و بين المسجد الحرام.

ويقول المفسرون بأن هذه المسافة الشاسعة التي قطعت في جزء من الليل تقدر بمسيرة أربعين ليلة ثم يضيفون بأن الإسراء كان بالروح و الجسد، و يقظة لا مناما و قد ورد في الأثر أنه قد انتقل عليه الصلاة و السلام بواسطة فرسه البراق.

ولنا في قصة أصحاب الكهف أيضا برهان آخر و دليل قاطع آخر في إشكالية هذا الزمن المتغير فقال تعالى " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً" أي مكثوا في الكهف ثلاثمائة و تسع سنين و أراد الله أن يبين حكمته و ينزل قضاءه فبعثهم من مرقدهم فقال قائل منهم " قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" .

هذه المفارقة الزمنية العجيبة تبين لنا جليا بأن هذا الجمع المبارك "فتية الكهف" قد كان في جملة محفوظة ومعزولة. لم تؤثر فيها أدنى قوة من قوى هذا الكون الخارجية و هذا ما يدفعنا بالقول أيضا على أن هذه الجملة كانت متموضعة مكانا و زمانا في معلم آخر...أقل ما يمكن أن يقال عنه: بأنه ليس بمعلم إقليدي.